Al-Yemenia University Journal

مجلة الجامعة اليمنية

وقوف الكفار يوم القيامة وما يجرى بينهم من حوار في القرآن الكريم

أ. م. د / رفعت حسين محمد عبوره
كلية التربية – جامعة صنعاء

أ. م. د / عبداللطيف هايل ثابت
كلية التربية – جامعة صنعاء

ملخص. يهدف البحث إلى تتبع وقوف الكفار وما يجري بينهم من حوار في يوم القيامة أثناء وقوفهم، وذلك من خلال أربع آيات كلها مكية وردت في ثلاث سور هي: الأنعام، وسبأ، والصَّافات.

وقد تحقق هذا الهدف من خلال: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وقد تضمنت المقدمة أهمية البحث، وأسباب اختياره وأهدافه، وتقسيماته.

وتضمن المبحث الأول: تعريف الوقوف لغة واصطلاحاً ومعانيه في القرآن الكريم، واحتوى المبحث الثاني: على وقوف الكفار يوم القيامة من خلال سورة الأنعام، وجاء المبحث الثالث: متضمناً وقوف الكفار يوم القيامة وما يجري بينهم من حوار من خلال سورة سبأ، أمَّا المبحث الرابع: فقد احتوى على وقوف الكفار يوم القيامة وما يجري بينهم من حوار من خلال سورة الصَّافات، وقد تضمنت الخاتمة أهم النتائج والتوصيات والمقترحات.

وقد اتبع الباحثان المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل والاستنباط، وخرج البحث بأهم النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

1- إبراز تكذيب الكفار والمكذبين بوحدانية الله والبعث والنشور والكتب المنزلة من عند الله وتقريعهم وتوبيخهم على تكذيبهم.
2- إبراز خسارة المكذبين وحسرتهم ولوم وعتاب بعضهم لبعض بما يعكس الحسرة والنَّدامة على ما فرطوا في جنب الله.
3- كل آيات وقوف الكفار يوم القيامة كان الخطاب فيها للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته تحذيراً لهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وجبراً لخاطره.

وقد أوصى الباحثان بعدة توصيات أهمها: التخلص من رفقاء السوء، والتخلص من الذنوب والمعاصي، والمبادرة إلى التوبة والاستغفار، والإكثار من الأعمال الصالحة.

الكلمات المفتاحية: الوقوف، وقوف الكفار، حوار الكفار.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، والحمد لله الذي خلق الخلق لعبادته، وابتلاهم في هذه الحياة بما أمرهم وما نهاهم، كما قال تعالى ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ [الملك: 1، 2] والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن الصحابة أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

إن الوقوف في القرآن الكريم قد ورد في أربع آيات وكلها تتحدث عن الآخرة، وكلها مكيه، حيث وردت آيتان في سورة الأنعام الآية رقم 28 و 30 وآية في سورة سبأ رقم 31 وآية في سورة الصافات رقم 24، وهذه الآيات وردت في سياق الحديث عن اليوم الآخر، فلها ارتباط بما قبلها وما بعدها كما سيتضح ذلك من خلال إيراد الآيات والحديث عنها.

والحديث عن الآخرة قد ورد كثيراً في كتاب الله سبحانه وتعالى، لأن الحياة الدنيا بالنسبة للحياة الأخرى لا تساوي شيئاً، إذاً افترض أنك ستعيش في الدنيا مائة سنة، ثم تموت، وتعيش في البرزخ ملايين السنين، ثم تبعث وتعيش إلى مالا نهاية، فما نسبة الحياة الدنيا إلى ما بعدها ؟!

فما بعد الموت هو حياة الآخرة، سواء الحياة البرزخية أم ما بعد البعث، فقد تعطي نسبة الحياة الدنيا إلى الحياة البرزخية ما مقداره واحد في المليار، لكن لا يوجد نسبة للحياة الدنيا بالنسبة إلى حياة لا نهاية لها، ولذلك قال الله تعالى ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: 64] وإذا كان الأمر كذلك فما هو واقع الناس في الحياة الدنيا التي لا يوجد لها نسبة إلى الحياة الأخرى؟

لا شك أن أكثر الناس ليسوا بمؤمنين، كما قال الله تعالى ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: 103] فالكثير منهم مشغولون في الدنيا كما هو معروف من حالهم، وإذ نظرت في واقع المسلمين وأعطيتهم نسبة لعملهم في الدنيا إلى عملهم في الآخرة ستعلم أن النسبة لا تساوي شيئاً، ثم تجد القليل ممن يهتمون بآخرتهم، كما قال تعالى ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: 13] وهؤلاء القليل تجدهم في صراع مع الباطل، ومع الكثير ممن لا يؤمنون بالآخرة، والدنيا أكبر همهم.

لذلك كان الحديث في هذا الموضوع من الأمور المهمة التي تثبت أن القليل من المؤمنين يسيرون في الطريق الصحيح، وهذه الأمور ترشد الكثير من المسلمين وتذكرهم بالحياة الحقيقية التي ينبغي أن يعطوها من الوقت والعمل ما تستحقه كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [القصص: 77] فأعطِ الدنيا ما تستحقه والآخرة ما تستحقه، وإن لم تفعل ذلك فقد عبثت في حياتك، وليس ذلك من صفات العقلاء.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الآتي:

1- تذكير المؤمنين بما يجب فعله في الحياة الدنيا لتتحقق لهم السعادة في الآخرة.
2- تذكير المؤمنين بالحياة الحقيقية في الآخرة، وذلك من خلال معرفتهم بوقوف الكفار وما يجري بينهم من حور يوم القيامة في الآخرة.

سبب اختيار البحث:

له أسباب كثيرة، أهمها:

1- أننا لم نجد بحثاً يخص موضوع وقوف الكفار يوم القيامة في القرآن الكريم، وهذا ما ألفت نظر الباحثين لدراسة هذا الموضوع في القرآن الكريم.
2- كون لفظة الوقوف وردت في أربعة مواضع في القرآن الكريم، منها موضعان في سورة الأنعام، وموضعان في سورتي سبأ والصَّافات، وهذا ما سيتضح في ثنايا البحث.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

1- التعريف بلفظ الوقوف لغة واصطلاحاً، وبيان معانيه في القرآن الكريم.
2- التعرف على وقوف الكفار يوم القيامة وما يجري بينهم من حوار وذلك من خلال سورة الأنعام وسبأ والصَّافات.

منهج البحث:

اعتمد الباحثان المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل والاستنباط، حيث تمَّ حصر الآيات المتعلقة بالوقوف في القرآن الكريم وتحليلها من خلال كتب التفاسير المعتمدة واستنباط معانيها ومقاصدها الحقيقية في اليوم الآخر.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.
مقدمة البحث: وتحتوي على سبب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.
المبحث الأول: تعريف الوقوف لغة واصطلاحاً ومعانيه في القرآن الكريم.
المبحث الثاني: وقوف الكفار يوم القيامة من خلال سورة الأنعام.
المبحث الثالث: وقوف الكفار يوم القيامة وما يجري بينهم من حوار من خلال سورة سبأ.
المبحث الرابع: وقوف الكفار يوم القيامة وما يجري بينهم من حوار من خلال سورة الصَّافات.
خاتمة البحث: وتحتوي على أهم النتائج، والتوصيات، والمقترحات.

المبحث الأول: تعريف الوقوف لغة واصطلاحاً ومعانيه في القرآن الكريم.

أولاً: تعريف الوقوف لغة:

(وَقفَ) وقَفَ يَقفُ وقوفا: دام قائما، والوقوف خلاف الجلوس، والجمع: وُقْف وَوُقُوف. والموقف: محل الوقوف، والْمَوقِف: الموضع الذي تقف في حيث كان. وتوقِيْف الناس في الحج: وقوفهم بالمواقف. وَوَاقفه مواقفة ووِقَافا: وقف معه في حرب أو خصومة. والوقَّاف: المحجم عن القتال، كأنه يقف نفسه عنه ويعوقها. ورجل وقاف: متأَنّ وغير عجل، والوقاف: الذي لا يستعجل في الأمور وهو فعَّال م الوقوف. وتوقف الفريقان في القتال. والتوقف في الشيء: كالتلوُم فيه. أوقفت الرجل على خِزْيه: إذا كنت لا تحبسه بيدك. وواقَفْت الرجل على كذا مُوَقَفة، ووِقَافا، أي سألته الوقوف واسْتوقفته [1].

وفي لسان العرب في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [الأنعام: 27]، قال: يحتمل ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن يكونوا عاينوها.

الوجه الثاني: أن يكونوا عليها وهي تحتهم.

الوجه الثالث: قال ابن سيده: والأجود أن يكون معنى: ﴿ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾، أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها، كما تقول: وقَفْت على ما عند فلان، تريد قد فهمْتُه وتبينته [2].

ويتلخص من الوقوف لغة بمشتقاته المعاني الآتية:

1- الوقوف: القيام، أي: خلاف الجلوس.
2- وقوف الناس في المواقف أيام الحج.
3- المحجم عن القتال والخصومة.
4- المتأني في الأمور، أي: لا يستعجل بسببها.
5- أوقفت الرجل على كذا، أي عرفته به.
6- استوقفته: سألته الوقوف.
7- وقفت على ما عند فلان تريد: فهمته وتَبَّينتُه.

ثانياً: تعريف الوقوف اصطلاحاً :

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [الأنعام: 27]

وقَرأ الجمهور وُقفوا مَبْنَيَّاً للمفعول ومعناه عند الجمهور حُبسوا على النار، وقال ابن السَّائب: معناه أُجْلِسُوا عليها وعلى بمعنى (في) أو تكون على بابها ومعنى جلوسهم أنَّ جهنم طبقات فإذا كانوا في طبقة كانت النار تحتهم في الطبقة الأخرى، وقال مقاتل: عرضوا عليها وَمَنْ عاين شيئاً وقف عليه.

وقيل: عاينوها ومن عاين شيئا وقف عليه، ومن عرض على شيء فقد وقف عليه،

1 – انظر : لسان العرب :لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، ت(711هـ): 359/9، 360،دار صادر(بيروت–لبنان)، (د.ت)، وانظر : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة : الطاهر أحمد الزاوي:4 /646 (وقف) ، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان) ، (1979م) .

2 – انظر : لسان العرب، لابن منظور : 359/9 .

وقيل: عرفوا مقدار عذابها كقولهم: وقفتُ على ما عند فلان أي فهمته وتَبَيَّنْتُهُ واختاره الزَّجاج.
وقيل: جُعِلوا وقفاً عليها كالوقوف المؤبدة على سبلها ذكره الماوردي، وقيل: وُقِفُوا بقريها.
وقال الطبري: أُدخَلُوها [3].

قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: 24] توبيخ لهم إنهم مسؤولون... قال الجمهور يُسألون عن أعمالهم ويُوقفون على قُبحها.

وفي الحديث (لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن خمس: شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله كيف اكتسبه وفيما انفقه، وعن ما عمل فيما علم) [4].

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون المعنى على نحو ما فسره بقوله (مالكم لا تناصرون) أي: إنهم مسؤولون عن امتناعهم عن التناصر وهذا على سبيل التوبيخ في الامتناع [5].

وقال الزمخشري: هذا تهكم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين[6].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِم ﴾ [سبأ: 31] قال الشوكاني: " ومعنى موقوفون عند ربهم: محبوسون في موقف الحساب " [7].

قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: 24] " أي: احبسوهم وهذا الحبس لهم يكون قبل سوقهم إلى جهنم: أي وقفوهم للحساب، ثم سوقوهم إلى النار بعد ذلك " [8].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِم ﴾ [سبأ: 31] قال الشيخ أبو بكر الحداد: " أي ولو ترى يا محمد مشركي مكة محبوسين في أرض المحشر للحساب يوم القيامة... " [9].

ويتضح مما سبق أن معنى الوقوف – في اليوم الآخر – اصطلاحاً: هو حبس الناس في أرض المحشر يوم القيامة لمحاسبتهم واطلاعهم على أعمالهم.

ثالثاً: معاني الوقوف في القرآن الكريم ورد على معنيين:

3 – البحر المحيط في التفسير : أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت : 745هـ)، 474/4 : تحقيق / صدقي محمد جميل ، ن دار الفكر بيروت ، ط 1420هـ .

4 – سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ)، 612/4 : تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، قال المحققون: حديث حسن صحيح، رقم الحديث: 2417، ن شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2، [1395 هـ- 1975 م].

5 – البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي: 97/9 .

6 – المصدر السابق: 97/9.

7 – فتح القدير : للشوكاني محمد بن علي بن محمد الشوكاني : 428/4 ، ن : مؤسسة الريان ، ط3 [1423هـ – 2002م] .

8 – المصدر السابق : 510/4 – 511 .

9 – تفسير الحداد (كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل) لأبي بكر الحداد اليمني (ت : 800هـ) : 5 / 397 ، تحقيق : د/ محمد إبراهيم يحيى ، ن دار المدار الإسلامي (بيروت – لبنان) ، ط1 (2003م) .

1- الوقوف بمعنى الحبس للتوبيخ والسؤال والحساب قبل سوقهم وإدخالهم إلى النار قال الله تعالى ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ ﴾ [الأنعام: 30] أي: " حبسوا للتوبيخ والسؤال " (10).

وقال الله تعالى ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [سبأ: 31] أي: " محبوسون في موقف الحساب... " (11).

وقال الله تعالى ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: 24] " يأمر الله تعالى بوقوفهم على جهة التوبيخ لهم والسؤال، وقال جمهور المفسرين: يُسالون عن أعمالهم ويُوقفون على قبحها " (12).

والمعنى: " أي: احبسوهم للحساب ثم سوقوهم إلى النار بعد ذلك " (13).

2- الوقوف بمعنى الدخول في النار ومعرفة حقيقتها وعذابها، كما قال الله تعالى ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: 27].

10 – فتح الرحمن في تفسير القرآن : مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت : 927هـ) : 387/2 ، تحقيق : نور الدين طالب ، ن : دار النوادر، ط1 (1430هـ – 2009م) .

11 – الجامع لأحكام القرآن : ابو عبدالله محمد أحمد الأنصاري القرطبي ، ت (671هـ) ، 302/14 ، دار الكتاب العربي (القاهرة) ، (1387هـ – 1967م ، وفتح القدير للشوكاني : 428/4 ، تفسير الحداد : 397/5 .

12 – الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ت (875هـ): تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود: 25/5، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، (1418 هـ).

13 – الجامع لأحكام القرآن: القرطبي : 15/ 73-74 ، فتح القدير للشوكاني : 4/ 510-511 .

المبحث الثاني: وقوف الكفار يوم القيامة من خلال سورة الأنعام (27-31).

تمهيد حول سورة الأنعام:

(سورة الأنعام عدد آياتها خمس وستون ومائة آية وهي أول سورة مكية من طوال المفصل بالنسبة لترتيب المصحف، وتعتبر بالنسبة لهذا الترتيب السورة السادسة، فقد سبقتها سور:

الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وهي سور مدنية باستثناء سورة الفاتحة.

أما ترتيبها في النزول فقد قال العلماء: إنها السورة السادسة والخمسون، وإن نزولها كان بعد نزول سورة الحجر) [14]. وهي السورة السادسة في ترتيب المصحف، وقبلها خمس سور كلها مدنية.

وقد نزلت سورة الأنعام دفعة واحدة، وشيعها عند نزولها من الملائكة ما سد الأفق، كما جاء في مستدرك الحاكم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: ((لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق)) [15]. وقوله صلى الله عليه وسلم (ما سد الأفق) أي غطى الجهة التي نزلت منها الملائكة.

وهي من نجائب القرآن، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه [16]. ونجائب القرآن: أفضله ومحضه ولبابه [17].

وسورة الأنعام من بدايتها إلى نهايتها تعالج موضوع الألوهية، وتورد الأدلة على ذلك بطرق متعددة وبصور شتى حتي لا تدع عذراً لمعتذر.

فالله هو الخالق، والله هو الرازق، والله هو المالك، والله هو صاحب القدرة والقهر والسلطان، والله هو العليم بالغيوب والأسرار، والله هو الذي يقلب القلوب والأبصار كما يقلب الليل والنهار، والله هو الحاكم في حياة العباد، ولا يكون لغيره أمر ولا نهي، ولا شرع ولا حكم، ولا تحليل ولا تحريم، فهذا كله من خصائص الألوهية. وغيره سبحانه لا يملك لنفسه ولا لغيره ضر ولا نفعاً، ولا يملك موتا ولا حياة ولا نشوراً، وتسوق الأدلة بطريقة سهلة وواضحة، بحيث لا يبقى مجال للتكذيب بالرسول والرسالة إلاَّ عن طريق الكفر والجحود [18].

14 – التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي: 5/5، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1،(1998م).

15 – قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يوافقه الذهبي. انظر : المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم النيسابوري المعروف بابن البيع ت(405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، 2/ 344، رقم الحديث(3226)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1،(1411 – 1990).

16 – انظر : مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي ت(255هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني: 4/ 2141، حديث رقم (3444)، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، (1412 هـ – 2000 م).

17 – انظر : القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ت(817هـ): تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة: 103، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8،(1426 هـ – 2005).

18 – انظر : في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ت(1385هـ): 3/1179 ، 1180 ، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط10، (1412 هـ).

قال الله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (28) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (30) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (31)} [سورة الأنعام:27-31].

المناسبة بين الآية 26 وما بعدها من الآيات:

قال الله تعالى ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام: 26] هذه الآية بينت موقف الكفار من الرسالة والرسول، وأنهم يهلكون أنفسهم بما يفعلون، وما ذكر من الهلاك يشمل ما يحصل لهم من الخسران بشكل عام في الدنيا والآخرة، وهذه الآيات فصلت بعض التفصيل لحالهم في الآخرة.

قال الله تعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [سورة الأنعام:27].

التفسير:

قوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكل من له أهلية الرؤية، قصداً إلى بيان سوء حالهم، وبلوغهم من الشناعة إلى حيث لا يختص بها راء دون راء.

ومفعول ﴿ تَرَىٰٓ ﴾ محذوف دل عليه ضمير ﴿ وُقِفُواْ ﴾ وأي: لو تراهم، وجواب (لو) محذوف ليذهب السامع كل مذهب، فيكون أبلغ في التخويف، والتقدير: لو تراهم في تلك الحال لرأيت أسوأ حال، أو لرأيت منظراً هائلاً، أو لرأيت منظراً عجيباً، ونحو ذلك.

وعبر عن المستقبل يوم القيامة بلفظ الماضي ﴿ وُقِفُواْ ﴾ لتحقق وقوعه، فهو كائن لا محالة، لأن خبر الله تعالى حق وصدق [19].

وفي معنى ﴿ وُقِفُواْ ﴾ أربعة أقوال [20]:

1- وقفوا بالقرب من النار معاينين لها، فتكون (على) بمعنى الباء.

19 – انظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ، ت (756هـ)، 5/ 583، 584ما بعدها ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، دار القلم (دمشق) ، (د. ت)، وانظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المشهور بـ (تفسير ابي السعود) : لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ، ت (951هـ) ، 123/2، دار احياء التراث العربي (بيروت – لبنان) ، (د.ت)، وانظر : التحرير والتنوير : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور،184/7 ، الدار التونسي للنشر والتوزيع (تونس) ، (1984م)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، ، 408/6.

20 – انظر : مفاتيح الغيب : لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي القرشي من ذرية ابي بكر الصديق ، تـــ (606هـ)، 508/12 ، دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان) ، ط3 .

2- وقفوا على النار: أي دخلوا فيها، فتكون (على) بمعنى (في).
3- وقيل: وقفوا على النار: أي الصراط فوق النار، فتكون على بمعناها الحقيقي.
4- وقفوا على النار: أي عرفوا حقيقتها، من قولك: وقّفْت فلانا على كلام فلان، أي علمته معناه وعرفته.

قوله تعالى ﴿ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ القراءات الواردة في هذه الأفعال ومعانيها على كل قراءة:

1- قرأ جمهور القراء برفع الأفعال الثلاثة ﴿ نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ فهم تمنو ثلاثة أشياء: الرد إلى دار الدنيا، وعدم تكذيبهم بآيات ربهم، وكونهم من المؤمنين ﴿ نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.
واعترض بأن قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ يدل على كذبهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من أنهم لا يكذبون، ويكونون من المؤمنين، ولم يتمنوا على هذا التقدير، لأن التمني لا يقع معه التكذيب، إنما يكون التكذيب في الخبر [21].
ورد على هذا الاعتراض بأنه يجوز أن يرفع الفعل الثالث على أن يقطعه من الأول، فيكون التقدير: ياليتنا نرد، ونحن لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ردُدْنا أولم نرد.
وقيل: التكذيب لا يجوز في الآخرة؛ لأنها دار جزاء على ما كان في الدنيا والتأويل: وإنهم لكاذبون في الدنيا [22].
2- وقرأ حمزة وحفص رفع (نردُ) على التمني، ونصب الفعلين (ولا نكذبَ ونكونَ) على جواب التمني بالواو، فيكون الفعلان داخلين في التمني الأول، والنصب بإظهار (أن) لتكون مع الفعل (نكذب) مصدراً، فتعطف بالواو ومصدرا على مصدره والتقدير: يا ليت لنا ردا، وانتفاء من التكذيب، وكونا من المؤمنين، قالوا وهذا التمني تضمن معنى العِدَة، فجاز أن يدخل التكذيب.
3- وقرأ ابن عامر برفع (نردُ، ونكذبُ) ونصب (ونكونَ) وتوجيه الرفع في (نكذب) كما وجهت قراءة الجمهور، والنصب في (نكون) على جواب التمني والتوجيه كما وجه في قراءة حمزة وحفص [23].

قوله تعالى ﴿ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ ﴾

﴿ بَلۡ ﴾ إضراب عن تمنيهم وما ادَّعوه من الإيمان لو ردوا إلى الدنيا وترك التكذيب.

قال الرازي: معنى ﴿ بَلۡ ﴾ ها هنا رد كلامهم، والتقدير: أنهم ما تمنوا العود إلى الدنيا وترك التكذيب، وتحصيل الإيمان لأجل كونهم راغبين في الإيمان، بل لأجل خوفهم من العقاب الذي شاهدوه

21 – الخبر يدخل فيه التكذيب والتصديق ، والتمني لا يقال لصاحبه أنت كاذب أو صادق .
22 – انظر : كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، ت (433هـ) ، تح : الدكتور / محي الدين رمضان : 428/1 ، مؤسسة الرسالة (بيروت – لبنان) ، ط3 (1984م) .
23 – المصدر نفسه .

وعاينوه، وهذا يدل على أن الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلا إذا كانت تلك الرغبة رغبة فيه؛ لكونه إيماناً وطاعة، فأما الرغبة فيه بطلب الثواب والخوف من العقاب فغير مفيد [24].

واختلف المفسرون في الذي كانوا يخفونه من قبل على أقوال أبرزها [25]:

1- أنَّ المشركين في بعض مواقف القيامة يجحدون الشرك فيقولون ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:23].
2- أنَّ أعمالهم السيئة ظهرت لهم في صحائفهم، وشهدت بها عليهم جوارحهم.
3- هو إخفاؤهم للإيمان الذي عرفته قلوبهم وجحدته ألسنتهم.
4- هو ما أخفاه أهل الكتاب مما كانوا يعرفونه عن محمد صلى الله عليه وسلم.
5- هم المنافقون كانوا يظهرون الإسلام ويخفون الكفر.
6- المراد كل ما كانوا يخفونه عن أعين الناس من أعمالهم السيئة وقيل: غير ذلك.

وإذا نظرت في الأقوال السابقة ترى أنه لا تعارض بينها، واللفظ يحتملها وغيرها من الأقوال المشابهة لها.

والعبرة بما يحصل للجاحدين للرسل والرسالات في ذلك اليوم.

وهنا نذكر المستضعفين من المسلمين الذين ينظرون إلى الكفار نظرة إعظام وإجلال لما توصل إليه القوم من علوم الدنيا، وينظرون إلى المسلمين نظرة امتهان واحتقار بسبب تخلفهم عن علوم الدنيا ونظام حياتهم، وهذا خطر عظيم ؛ لأن الكفار مهما أوتوا من الحياة الدنيا وزخرفتها هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا، والمسلم مهما كان ضعيفاً لا يوبه له ولا يحترم فهو خير وأعظم عند الله، ولا يقارن بين حي وميت، وبين مسلم وكافر مهما كان المسلم ضعيفاً في هذه الحياة وكان الكافر على منزلة عظيمة في الدنيا.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾

أي: ولو ردوا إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر والنفاق، والكيد والمكر والمعاصي، فإنَّ الخبث متأصل في نفوسهم، وقد نشأوا على المعاصي والعناد لما جاءهم من الحق، والتمرد على أمر الله ونهيه، ومن ثم لا ينفعهم مشاهدة ما شاهدوه، ولا سوء ما رأوا [26].

ومن خلال ما سبق لا ينبغي أن يُسمح للأطفال بإطاعة شهواتهم واتباع أهوائهم، ظنا أن ذلك يعودهم الحرية والاستقلال، فيهديهم ذلك إلى الحق والفضيلة، لأن الطفل ينشأ على ما تعود عليه [27].

24 – انظر : مفاتيح الغيب: الفخر الرازي : 510/12 .

25 – انظر : المصدر نفسه.

26 – انظر : تفسير المراغي : أحمد بن مصطفى المراغي ، ت (371هـ) ، 101/7، 102، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط1 (1946م) .

27 – المصدر نفسه .

والآية واضـــحة أنَّ من بلغه القرآن وكذب به عن علم وعناد، أنه علم أن الرســول حق، والقرآن حق، والبعث حق، والجنة حق، والنار حق، وكل ما أخبر عنه القرآن فهو حق، ومع ذلك العلم كفر بالله وكذب المرسلين.

فإذا ما ت هذا الكافر، وشاهد ما بعد الموت على الحقيقة من الحياة البرزخية، ثم البعث إلى النار، هاله تلك المواقف، وتمنى على الله الأماني، فأخبر الله العالم بما لا يكون لو كان كيف يكون، أنهم لو عادوا إلى الدنيا، وغابت عنهم تلك المشـــاهد التي تشـــيب لهولها الولدان، لعادوا لما كانوا عليه من الكفر والإلحاد.

ومن أصدف من الله قيلا ومن أصدق من الله حديثا !

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ في تفسير الآية قولان:

1- أنَّ الواو في ﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾ استئناف لا تعلق لها بما قبلها، والمعنى أنَّ المشركين ينكرون البعث الذي يخبرهم به رسول الله صلى الله عيه وسلم، ويقولون: ما هي إلا حياتنا الدنيا. قال السمين: ((ولم يكفوا بمجرد الإخبار بذلك حتى أبرزوها محصورة في نفي وإثبات)) [28].

ومقصود السمين أن (إن) بمعنى (ما) النافية للجنس، و (هي) ضمير مبهم يفسره ما بعد الاستثناء المفرغ وهو (حياتنا الدنيا) والمعنى: ما الحياة لنا إلا حياتنا الدنيا، أي انحصر جنس حياتنا في حياتنا الدنيا، فلا حياة لنا غيرها، فبطلت حياة بعد الموت [29].

2- أن الواو في ﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾ عاطفة على جواب (ولو) والتقدير: ولو ردوا لعادوا وقالوا.وذكر الطبري هذا القول عن عبد الرحمن بن زيد واختار القول الأول [30]. ولا تنافي بين القولين، فكفار مكة أنكروا البعث في آيات كثيرة، وهذا النكران بعد أن تبين لهم الحق، والله ســـبحانه وتعالى قد أخبرنا أنَّهم لو عادوا إلى الدنيا بعد البعث لأنكروا البعث بعد أن عاينوه.

قوله تعالى ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ [الأنعام: 30]

قوله (ولو) جواب (لو) محذوف، ومفعول (ترى) محذوف أيضاً، وقد سبق الحديث عنه عند تفسير الآية (27) وهو كذلك هنا، والمعنى: ولو ترى حالهم لرأيت أمراً عجيباً، وحالاً مخيفاً ونحو ذلك.

قوله تعالى﴿ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ ذكر المفســـرون أقوالاً مختلفة في اللفظ ومتفقة في المعني وهي:

1- ﴿ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ ﴾: أي وقفوا على ربهم ووقفوا بين يديه.
2- ﴿ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ ﴾: أي حبسوا يوم القيامة على حكم الله وقضائه فيهم.

28 – انظر : الدر المصون 41/3 .

29 – انظر : التحرير والتنوير، لابن عاشور : 187/7 .

30 – انظر : جامع البيان عن تأويل آيات القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تـ (310هـ) ، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي، 323/11 ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع (الرياض) ، ط1.

3- ﴿ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ ﴾ (على) بمعنى (عند) أي عند ملائكته وجزائه، حيث لا سلطان فيه لغير الله عزوجل، تقول: وقفت على فلان أي عنده.
4- ﴿ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ ﴾: أي على ما وعدهم ربهم من عذاب الكافرين، وثواب المؤمنين، وعلى ما أخبرهم به من أمر الآخرة [31].

قوله تعالى ﴿ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ الاستفهام للتقريع والتوبيخ، أي: أليس هذا البعث الذي أنكرتموه كائنا موجوداً؟

﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَآۚ ﴾ أي: هذا هو الحق، ثم أكدوا اعتراضهم باليمين إظهار الكمال تيقنهم بحقيقته، وأقسموا بالاسم الدال على الإحسان ﴿ وَرَبِّنَآۚ ﴾ طمعاً في أن ينفعهم القسم بهذا الاسم [32]، وهيهات أن ينفعهم ذلك من شيء في ذلك اليوم.

قوله تعالى ﴿ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ أي: قال الله سبحانه للكافرين: فذوقوا العذاب بسبب كفركم في الدنيا، والفاء في (فذوقوا) لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقيقة ما كفروا به في الدنيا، لكن لا على أن مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك، بل هو كفرهم السابق في الدنيا بما اعترفوا بحقيقته في ذلك اليوم [33].

وخص سبحانه وتعالى الذوق (فذوقوا) ؛ لأن الذوق يشمل جميع أجزاء الجسم ظاهراً وباطناً، فلا يبقى شيء من الجسم إلا ويصله العذاب [34].

وما ذكره ابن منظور في اللسان فيه دليل على الإعجاز العلمي فيما يخص الجلد، كما جاء في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: 56] وأخرج البيهقي عن الفضل الراقي، أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا ﴾ قال: يا كعب أخبرني بتفسيرها، فإن صدقت صدقتك، وإن كذبت رددت عليك فقال : أنَّ جلد ابن آدم يحرق ويجدد في ساعة أو في مقدار ساعة ستة آلاف مرة قال: صدقت))[35] والحديث له يدل على أشياء أبرزها:

1- مثل هذا الحديث لا يقال بالاجتهاد من الصحابي، وإنما يدل على رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون عمر رضي الله عنه سمعه من الرسول، وكعب سمعه أيضاً من الرسول وعلمه من التوراة.
2- الحديث يدل على أن الجلد محل الألم لذلك: كلما نضج تجدد.

31 – انظر : جامع البيان: ابن جرير الطبري : 325/11 ، وانظر : مفاتيح الغيب: الفخر الرازي : 196/12 ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن: القرطبي : 411/6 .
32 – انظر : إرشاد العقل السليم: أبو السعود : 125/2 .
33 – المصدر نفسه .
34 – انظر : لسان العرب: ابن منظور : 112/10 .
35 – أخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور ، أبي بكر احمد بن الحسين البيهقي ، ت (458هـ) ، تحقيق : الشيخ / عامر أحمد حيدر، 318 حديث رقم (577) ، مؤسسة الكتاب الثقافية (لبنان) ، ط 1 (1406هـ – 1986م) .

قوله تعالى ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ **[الأنعام: 31]**

(قد) لتحقيق الخسران، والمراد بالخسران أمران:

الأمر الأول: خسرانه في الدنيا، وفيها قد خسر سمعه، وبصره، وعقله حيث لم يستعملها فيما خلقت له، ولذلك شبههم الله بالأنعام، بل هم أضل سبيلا.

قال تعالى ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ **[الأعراف: 179]** هذا هو حال الجاحدين لله ولرسله، لا يغرنك مالهم فيها من زخرفة الحياة الدنيا، فهم يعيشون عيشة ضنكا، ولم يجدوا السعادة وهم معرضون عن الله.

تصور إنسانا يعيش في هذه الحياة وهو لا سمع له ولا بصر له ولا عقل كيف يعيش ؟! هذا هو مثال الكافر الذي بلغه القرآن فكفر به جحداً أو عناداً، كما قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ **[الأحقاف: 26]** والجحد أن ينكر بلسانه ما يؤمن به بقلبه **(36)**.

الأمر الثاني: خسرانه في الآخرة ويشمل حياة البرزخ والبعث وما بعد البعث وهو الوقوف على ربهم، ثم النار، والآيات من (27-30) قد بينت أحوالهم في تلك الحياة وما يلاقونه من الذل والأهوال والهوان، فهل يوجد إنسان خسر أكبر من تلك الخسارة التي لا تعويض لها أبداً ؟

والخلاصة أنَّ خسارة الدنيا مهما كانت مع خروج الإنسان منها مسلما فهي تهون ؛ لأن الدنيا عمرها قليل وتنتهي.

وإذا خرج الإنسان من هذه الدنيا وهو جاحد لله ولرسله فيالها من خسارة دائمة بلا نهاية، عذاب لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون، وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمون.

فيا أيها المسلمون بلغوا دين الله لمن لا يعلمه، وإلا فأنتم المسؤولون أمام الله، ولا عذر لكم يوم القيامة.

الأشد جرما من ذلك أن تتبعوا أعداء الله في خذلناكم للمسلمين، واتباعكم لأعداء الله، ولئن أطعتموهم إنكم لجاحدون مثلهم، والخيار لكم.

قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ ﴾ **[الأنعام: 31]**

36 – انظر : ترتيب القاموس المحيط: الطاهر أحمد الزاوي : 446/1 (جحد) .

(حتى) غاية لتكذيبهم،[37]و (الساعة) جزء من أجزاء الزمان، ويعبر بها عن القيامة، والساعة التي يعبر بها عن القيامة تنقسم إلى قسمين:

أولاً: الساعة الصغرى: وهي موت الإنسان فساعة كل إنسان موته، وهي المشار إليها بقوله ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ ومعلوم أنَّ هذه الحسرة تنال الإنسان عند موته لقوله ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ **[المنافقون: 10]**.

ثانياً: الساعة الكبرى: وهي بعث الناس للمحاسبة، في قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [38] **[الأنفال: 187]**

وقوله ﴿ بَغْتَة ﴾ والبغت، والبغتة: مفاجأة الشيء بسرعة من غير اشعار به [39].

الحسرة والتحسير: الإيقاع في الحسرة، وشدة الندم، والتلهف على الشيء الفائت [40].

والتفريط: التقصير في الشيء وتضييعه.

وقيل: الفرط: السبق، ومعنى فرط: ترك البعث لغيره [41].

ولا شك أن القوم قصروا فيما يجب عليهم مع القدرة على فعله والضمير في (فيها) فيه أربعة أقوال[42]:

1- يعود على الآخرة، أي قصرنا في مراعاة حقها، والإيمان لها.
2- يعود للحياة الدنيا وإن لم يجر لها ذكر، لكونها معلومة.
3- يعود على الطاعة لأمر الله في الدنيا.
4- الضمير يعود على الصفقة ؛ لأنَّ الخسران لا يكون إلا في صفقة بيع قد جرت، وهم باعوا الإيمان الذي يُستوجب به الجنة، بالكفر الذي يستوجب به النار، وهذا قول ابن جرير [43].

37 – انظر : البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي:481/4 .

38 – انظر : المفردات في غريب القرآن : لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ت (502هـ): 434، 435 ، دار المعارف (بيروت – لبنان) ، (د.ت).

39 – انظر : معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسن الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تـــ (395هـــ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، 272/1 (بغت) ، دار الكتب العلمية (إيران) ، (د.ت) ، وانظر : أساس البلاغة : لجار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ت (538هـــ) : 26 (بغت) ، دار المعرفة للطباعة ولنشر، (بيروت – لبنان) ، (د . ت) .

40 – انظر : ترتيب القاموس المحيط : الطاهر أحمد الزاوي: 639/1 (حسر) .

41 – انظر : المصدر السابق : 474/3 (فرط) .

42 – انظر : إرشاد العقل السليم: أبو السعود : 125/3.

43 – انظر : جامع البيان: ابن جرير الطبري: 325/11 .

وإذا نظرنا إلى الأقوال السابقة نرى أنَّ كلام ابن جرير يؤيده ما أخرجه ابن جرير مرفوعاً، والخطيب بسند صحيح – كما قال السيوطي – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: في قوله ﴿ يُحَسۡرَتَنَا ﴾ قال: (الحسرة) أن يرى أهل النار منازلهم من الجنة في الجنة فتلك الحسرة))[44]

قوله تعالى ﴿ وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعام: 31] (الحِمْلُ) – بكسر الحاء – لما حمل على ظهر، أو على رأس، والْمَحْمِلُ – شقان على البعير يحمل فيه العديلان، جمع محَامِل[45].

والوِزر – بالكسر – الإثم، والثُقل، والحمل الثقيل، والوزير من يحمل وزارة الملِك، لأنه يحمل ثقله ويعينه برأيه [46].

وذكر الظهور ؛ لأنَّ المعتاد حمل الأثقال على الظهور كما تحمل الدواب.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (ألا) تفيد التنبيه وتحقيق ما بعدها أي: ألا ساء ما يحملون من حمل ثقيل على ظهورهم كما تحمل الدواب [47].

وهنا نسأل سؤلاً: هل هذه الأحمال على الظهور يوم القيامة حقيقة أم مجاز ؟

وللعلماء قولا ن في الجواب:

1- الحمل على الظهور حقيقة، وهو قول جماعة من المفسرين ومنهم ابن جرير الطبري، واستدلوا بما أخرجه الطبري وغيره عن السدي ﴿ وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ ﴾ فإنه ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره إلاَّ جاءه رجل قبيح الوجه، أسود اللون منتن الريح، عليه ثياب رثة، حتى يدخل معه قبره، فإذا رأه قال له: ما أقبح وجهك، قال: كذلك كان عملك دنسا، قال: مَنْ أنت، قال: أنا عملك.

قال: فيكون معه في قبره، فإذا بعث يوم القيامة قال له: إني كنت أحملك في الدنيا باللذات والشهوات، فأنت اليوم تحملني، قال: فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخل النار، فذلك قوله ﴿ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ ﴾ [48].

2- أن الأحمال على الظهور مجاز، وهذا قول جمهور المفسرين، قال القرطبي ﴿ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ ﴾ مجاز وتوسع وتشبيه بمن يحمل ثِقْلا....، والمعنى أنهم لزمتهم الآثام فصاروا مثقلين بها [49].

---

44 – انظر : الدر المنثور في التفسير المأثور : عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد السيوطي ، ت (911هـ): 262/3 ، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت – لبنان) ، ط1 (1403هـ) .

45 – انظر : ترتيب القاموس المحيط : الطاهر أحمد الزاوي: 712/1 ، 713 (حَمَلَهُ) .

46 – انظر : المصدر السابق : 604/4، 605 (وَزَرَ) .

47 – انظر : البرهان في علوم القرآن : لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ت (794هـ) ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم : 235/4 ، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت – لبنان) ، ط2.

48 – انظر : جامع البيان: ابن جرير الطبري : 328/11 .

49 – انظر : الجامع لأحكام القرآن: القرطبي : 413/6 .

وإذا نظرت في القولين وما استدل به لكل قول لا يوجد ما يرجح به أحد القولين، لأن ما ذكره ابن جرير عن السدى موقوف على تابعي، وهو أمر غيبي لا يقال إلا عن المعصوم صلى الله عليه وسلم، وبذلك بطل به الاستدلال. أما ما ذكره القرطبي فهو اجتهاد يحتمل الصواب والخطأ.

وإذا نظرنا في سياق الآيات – والسياق من المرجحات – نرى أن القول الأول هو الراجح للآتي:

1- القرآن يحمل على الظاهر، والظاهر هو حمل الأثقال على الظهور حقيقة فلا حاجة لنا إلى حمله على المجاز.
2- من يتكبر على خالقه جحوداً وعناداً فهو يستحق الإذلال، فالحمل على الظهور من خصائص الدواب، كالخيل والجمال والحمير، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يمثلهم بتلك الدواب في حملهم الأثقال على الظهور.
3- الدنيا لا تقاس بالآخرة، حتى يقال: الآثام ليس لها أثقال، فالأمر يختلف وللدنيا حقائق نعلم ما نعلم منها، وللآخرة حقائق نفهم المراد منها، ولا نعلم حقائقها على ما هي عليه إلا عند الوصول إليها، أي الموت وما بعده، نسأل الله السلامة والعافية لنا ولجميع مَنْ مات على الإسلام.

قوله تعالى ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام:32].

المناسبة بين هذه الآية وما قبلها:

لما كانت الآيات السابقة قد قررت البعث بما لا يدع مجالاً للشك فيه، وما كان الكفار قد حصروا الحياة بالحياة الدنيا، وجحدوا الحياة الأخرى – وهم يعلمونها – عنادا وتكبراً: بين الله سبحانه وتعالى حقيقة الحياة الدنيا بطريق من طرق الحصر فقال: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ والنفي والإثبات طريق من طرق الحصر.

واللعب: عمل أو قول في خفة وسرعة وطيش ليست له غاية مفيدة بل غايته إراحة البال وتقصير الوقت واستجلاب العقول في حالة ضعفها كعقل الصغير وعقل المتعب، وأكثره أعمال الصبيان. قالوا ولذلك فهو مشتق من اللعاب، وهو ريق الصبي السائل، وضد اللعب الجد.

واللهو: ما يشتغل به الإنسان مما ترتاح إليه نفسه ولا يتعب في الاشتغال به عقله.

فلا يطلق إلا على ما فيه استمتاع ولذة وملائمة للشهوة.

وبين اللهو واللعب العموم والخصوص الوجهي. فهما يجتمعان في العمل الذي فيه ملاءمة ويقارنه شيء من الخفة والطيش كالطرب واللهو بالنساء. وينفرد اللعب في لعب الصبيان. وينفرد اللهو في نحو الميسر والصيد [50].

50 – انظر : التحرير والتنوير، لابن عاشور: 193/7.

ولم يرد اللعب واللهو في كتاب الله إلا في ســـياق الذَّم، ويســـتثنى من ذم اللعب واللهو، أباحه الرسول صلى الله عليه وسلم وما يماثله، وقد ورد في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم: ((كل ما يلهو به الرجل المسـلم باطل، إلا رمية بقوس، وتأديبه فرســه، وملاعبته أهله فإنهن من الحق)) [51]، وهذه الثلاثة الأمور المذكورة في الحديث المقصود منها الإعداد للجهاد في سبيل الله.

وتأديب الفرس: تدريبه، والتدريب على ركوبه لأجل الغزو في ســـبيل الله، وملاعبته أهله: حث على تكثير ولادة الأولاد، فينوي به الإعانة في سبيل الله [52].

وهنا نسأل سؤالاً يتبادر إلى الذهن ونذكر ما أجاب به العلماء رحمهم الله:

س: إذا كان الله سبحانه وتعالى قد ذَمَّ الدنيا بصيغة القصر فأين المؤمنون وأعمالهم الصالحة ؟

جـ: وقد أجاب العلماء على ذلك بأربعة أجوبة:

1- أن المراد من هذا الذم حياة الكافر، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعلى هذا فحياة المسلم يحصل فيها أعمال صالحة فلا تكون لعبا ولهواً.
2- القصـــر: وما أمر الدنيا والعمل لها إلا لعب ولهو، فأما فعل الخير فهو من عمل الآخرة لا من عمل الدنيا.
3- إن الذم عام في حياة المؤمن والكافر، وإنما سماها باللعب واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها.
4- وقيل: الحياة الدنيا تســاوي لعب ولهو يقابله: وللدار الآخرة خير اللذين يتقون، فإذا خص الخيرية بالمتقين: لزم منه أنَّ ما عدا أعمال المتقين ليس من أعمال الآخرة في شيء فهو لعب ولهو [53].

ومع أنَّ الأقوال الأربعة لا تناقض بينها، فكل قول منها بَيَّنَ جانبا من الجوانب ولا ينفي غيره، ولكن نريد أن نوضح القول الثالث والرابع أكثر فنقول:

إن القول الثالث هو الأهم وهو: أن الذم عام في حياة المؤمن والكافر، وإنما سماها باللعب واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها وهذا القول صحيح، فكم النسبة بين الحياة الدنيا إلى حياة البرزخ ؟! إنها لا تساوي من قطرة من بحر، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ((ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بماذا يرجع)) [54].

والآخرة هي ما بعد الموت ؛ لأنها حياة لا نهاية لها، وتشـــمل الحياة البرزخية وما بعد البعث، ولكل من الحياتين خصـــائص لا يدركها الإنســـان على حقيقتها التي هي عليه إلا بعد الانتقال إليها، ولكن

51 – انظر : سنن الترمذي : 4/ 174 ، باب الجهاد وقال : هذا حديث حسن صحيح .

52 – انظر : بذل المجهود في حل أبي داوود : الشيخ خليل أحمد السهار نفوري ، ت (1346هـ): 428/11 ، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان) ، (د. ت) .

53 – انظر : زاد المسير في علم التفسير : ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ت (597هـ) : 27/3 ، دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان) ، ط1 (1423هـ- 2002م) ، وانظر: مفاتيح الغيب: الفخر الرازي : 200/12 وما بعدها ، وانظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود البغدادي ، ت (1270هـ): 134/7 ، دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان) ، ط4 (1405هـ – 1985م).

54 – رواه الترمذي عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت مُسْتوردا أخا بني فهر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ..... الحديث ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح : 384/3 حديث رقم (2425) ، أبواب الزهد .

نفهم من أدلة الكتاب والسنة أنَّ عذاب البرزخُ أخف من عذاب ما بعد البعث، وأنَّ نعيم البرزخ لمن خرج من الدنيا فائزا أقل من نعيم الجنة.

أما القول الرابع هو: الحياة الدنيا تساوي لعب ولهو يقابله: وللدار الآخرة، خير للذين يتقون، فإذا خص الخيرية بالمتقين، لزم منه أن ما عدا أعمال المتقين ليس من أعمال المتقين في شـــيء، فهو لعب ولهو، وهذا القول صحيح في جانب من جوانب التقوى.

ولكن السؤال المهم: ما هي التقوى ؟

وإذا نظرنا فيما تعرف به التقوى عند الســلف الصـــالح فهي: (الامتثال لأمر الله والاجتناب عما نهاه) [55]فعل الطاعات وترك المعاصـــي، أو امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وغير ذلك من التعاريف الكثيرة التي لا تخرج عن كون المتقين هم المسلمون الصالحون.

والتعريف هذا من حيث انضـباطه على التعاريف فهو جامع مانع، لكنه مجمل لم يفصـل التقوى المطلوبة من المسلمين، كما ذكر ذلك محمد رشيد رضا عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [هود: 24]حيث قال: ((هو الأســاس الأعظم لســنن الاجتماع في فوز الجماعات الدينية والســياســية والشعوب والأمم في مقاصدها وغلبها على خصومها ومناوئيها، كما أنه هو الأساس الراسخ لفوز الأفراد في أعمالهم الدينية والدنيوية من مالية واجتماعية، فهذه الجملة البليغة آية من آيات كتاب الله الكبرى في جمع الحقائق الكثيرة في المقاصد المختلفة في كلمة وجيزة)) [56].

ثم ذكر كثيرا من الآيات الدالة على أنَّ الأمة الإســـلامية لا تنال التمكين الذي وعدها الله به إلا بالقيام بما أمرها الله من إعداد القوة في دينها ودنياها، وأنَّ إعداد القوة الدنيوية تنال لكل من سلك أسبابها من مســـلم أو كافر، وأنَّ الأمة الإســـلامية فرطت في علوم الدنيا فهزمت في كل الميادين: الســـياســـية والاقتصــادية والعســكرية، والأخلاقية والعقدية، والمدنية، وغير ذلك وتحدث حول هذا الموضــوع كثيراً [57].

وما من شـك أن ما ذكره السـيد محمد رشـيد رضـا هو ما نشـاهده على واقعنا اليوم من مآســي وأحزان، وذل وهوان للأمة الإسـلامية من قبل أعدائها، والأمة الإسـلامية قوية بدينها ذليلة بغيره، والقوة لا تحصل للمسلمين إلا بأمرين أساسيين:

1- القوة في دينها علما وعملا، فلا مجال لها أن تأخذ منه ما تشاء وتترك ما تشاء.
2- أن تكون قوية في العمل لدنياها، وبذلك يتحقق لها ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [هود: 49] فلا عزة للمسلين التي وعدهم الله بها في كثير من الآيات مثل قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المنافقون: 8] إلاَّ بالقوة، ولا قوة لمن لا يصـنع سـلاحه الرادع مسـتقلاً عن غيره، ولا قوة لمن لا

55 – اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ت (775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض:276/1، دار الكتب العلمية (بيروت / لبنان)، ط1، 1419(هـ -1998م).

56 – انظر : تفسير القرآن الحكيم المشهور بـ (تفسير المنار) : محمد رشيد رضا، تحقيق إبراهيم شمس الدين : 206/12، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان) ، ط1 (1420هـ - 1999م).

57 – انظر : المصدر السابق : 206/12-212 .

يملك غذاءه، ولا قوة لمن لا يصنع لباسه، ولا قوة لمن يستورد كل شيء من عدوه، ويعيش كَلاًّ على غيره.

وخلاصة القول: إن الله وعد المتقين بالنصر، والنصر لا يكون إلا بالقوة والقوة تتحقق بأمرين:

1- العمل بكتاب الله وسنته رسوله صلى الله عليه وسلم.
2- القوة في العمل للدنيا في كل مجالات الحياة.

والسؤال: أين المسلمون من هذين الأمرين ؟

ونترك الجواب ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: 37]

قوله تعالى ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ ﴾ (خير) يدل على المفاضلة بين الدنيا والآخرة كما قال تعالى ﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: 16، 17] وحياة الدنيا قصيرة، والآخرة حياة لانهاية لها. فالحياة الدنيا لا تساوي شيئاً مع الحياة الأخرى، فكيف تكون المفاضلة ؟

والجواب: لما كانت الحياة الدنيا سببا بفضل الله في دخول الجنة للذين يتقون حصلت المفاضلة بينهما.

قوله ﴿ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ ﴾ أي هذه الخيرية للمتقين العاملين للدين بما يجب عليهم، وللدنيا بما تستحقه، والدنيا هي الخادمة للدين، وهذه في حق المؤمنين، فالآخرة خير لهم من الدنيا. أما الكافرون: فالحياة الدنيا خير لهم من الأخرى.

قوله ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ الهمزة للاستفهام، وفي معناه قولان:

1- الخطاب للكفار، والاستفهام للتوبيخ بسبب تكذيبهم وعدم إيمانهم فهم الغوا عقولهم.

2- المراد مخاطبة المؤمنين، والاستفهام للتنبيه والحث على التأمل ولا تنافي بين القولين [58].

58 – انظر : التحرير والتنوير : 185/7 .

المبحث الثالث: وقوف الكفار يوم القيامة وما يجرى بينهم من حوار من خلال سورة (سبأ).

هذا المبحث تحدثت عنه الآيات (31-33) من سورة سبأ قال الله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [سبأ: 31-33]

التفسير:

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ ﴾ المراد بالذين كفروا هم مشـــركو العرب في مكة، وما قالوا تلك المقالة إلا بعد ظهور الحق وبيان الحجة عليهم، أي لن نؤمن بما أنزل على محمد صـــلى الله عليه وســـلم من القرآن، ولا بالكتاب الذي جاء به من قبله من الأنبياء السابقين (59).

ولما كان هذا الكفر كفر عناد وتكبر كان الرد عليهم بما يناسب عنادهم فقال الله تعالى ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ أي: ولو ترى يا محمد إذ المنكرون للبعث تكبراً وعناداً وهم موقوفون عند ربهم للحساب، وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم، وجوب (لو) محذوف للتهويل والتقريع، أي لو ترى حالهم لرأيت أمراً فظيعاً مهولاً (60).

والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ولكل من تتأتى منه الرؤيا.

قوله تعالى ﴿ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ ﴾ أي: يلوم بعضهم بعضاً ويؤنب بعضهم بعضاً.

قوله ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴾ أي: يقول الأتباع للمتبوعين: لولا إضلالكم إيانا عن الإيمان بأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وصدكم لنا: لكنا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (61).

قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴾

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ ﴾ اسـتئناف مبني على سـؤال مقدر كأنه قيل: فماذا قال الذين استكبروا في الجواب ؟

59 – انظر : جامع البيان: ابن جرير الطبري : 406/20.

60 – انظر : صفوة التفاسير : الدكتور محمد على الصابوني: 566/2 ، دار القرآن الكريم (بيروت – لبنان) ، (1402هـ – 1981م).

61 – انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت (685هـ): تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، 248/4، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط1، (1418 هـ).

فقيل: قالوا ﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمْ ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ والجواب من الذين استكبروا يتضمن أموراً أبرزها:

1- الإنسان معذور قبل إرسال الرسل، ولا يعذر بعد تبليغ الرسل.
2- كان المستضعفون قد تبين لهم الحق بإرسال الرسل، ولذلك قال المستكبرون ﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمْ ۖ ﴾ ؟ رَدّاً عليهم وإنكاراً لقولهم، أي: فأنتم تركتم الحق بعد أن تَبَيَّنَ لكم.
3- وبعد إنكار المستكبرين للمستضعفين أنهم كانوا هم الصادون لهم عن الإيمان أثبتوا أنهم هم الذين اختاروا الضلالة على الهدى، بسبب كونهم راسخين في الإجرام فقالوا ﴿ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ (62).
4- وصدق المستكبرون وكذب المستضعفون ؛ لأنَّ المستضعفين لو كانوا صادقين بأنهم مكرهون لأصغوا بقلوبهم بما جاءهم من الهدى، والإيمان في القلب سر بين العبد وربه، ولا يستطيع أحد أن ينزعه من القلب، مهما كانت قوته، ولو أظهر بلسانه خلافا لما في قلبه لا يؤاخذه الله على ما أكره عليه.

وهذا الرابع هو الضابط للحوار السابق، فلا عذر للمستضعفين ولا حيلة ولا مفر، وهذا ينطبق على السابقين واللاحقين إلى قيام الساعة.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ ﴾ إضراب من المستضعفين عن الإضراب السابق: ﴿ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ وإبطالا له، أي قال الذين استضعفوا: كذبتم فيما ادعيتم من عراقتنا في الإجرام، ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: بل الصاد لنا مكركم بنا بالليل والنهار، فأنتم مستمرون ليلاً ونهاراً في إضلالنا (63).

ونقول: صدقوا فيما قالوا، لأنَّ المكر بالمسلمين سبيل الطغاة ؛ لأن القوة لا تزيد المؤمنين إلا ثباتاً، ولما انهزم أعداء الدين في معارك القوة، لجأوا إلى المكر والخداع بالمسلمين ليلاً ونهاراً، وبأساليب لا تنحصر، وخاصة في هذا الزمان الذي غزونا فيه إلى غرف نومنا، وفي جميع أوقاتنا، فما الذي نراه اليوم من المكر والخداع ؟ وصدق الله القائل ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[آل عمران: 54] وقال تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: 30] وقال تعالى ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم: 46] إذاً فمكر الماكرين شديد وعظيم والله هو الذي يعلمه ومحبطه، والمسلمون لا يدركون مكر الماكرين على الحقيقة لكثرته وتنوعه وخبثه، والله هو الذي يعلم كل شيء ويبطله على الحقيقة، والمسلمون عليهم الأخذ بالأسباب الشرعية التي أمرهم الله بها، والله ينفذ حكمه بالماكرين بما يشاء وكيف ما يشاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

وإذا تأملتَ الآيات التي ذكر الله فيها مكر الماكرين، هذه الآيات التي ذكرناها وغيرها من الآيات الكثيرة: علمتَ أنَّ الله لم يضف المكر إلى عباده المؤمنين ؛ لأنَّ المكر والكيد، والخداع، ونحو ذلك من صفات النقص، وقد يدخل فيها من الصفات مالا يجوز شرعا، كاللواط، والزنا، والكذب على الله، وعلى رسوله والمؤمنين، والدعاء على المؤمنين بما ليس فيهم، مثل قولهم: إرهابي، وداعشي وطابور خامس،

62 – انظر : إرشاد العقل السليم: أبو السعود: 134/7 ، وانظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ابو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، تـ (885هـ): 510/15 ، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان) ، ط1 (1415هـ – 1995م).

63 – انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم البقاعي: 510/15 .

وأصولي، ومتطرف، وغير ذلك الكثير والكثير، كما قال الله تعالى ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: 186] قوله ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾.

قال الشوكاني: (هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته تسلية لهم عما سيلقونه من الكفرة والفسقة، ليوطنوا أنفسهم على الثبات والصبر على المكاره والابتلاء الامتحان والاختبار، والمعنى: لتمتحنن ولتختبرنّ في أموالكم بالمصائب، والإنفاقات الواجبة، وسائر التكاليف الشرعية المتعلقة بالأموال.

والابتلاء في الأنفس: بالموت والأمراض وفقد الأحباب والقتل في سبيل الله، هذه الجملة جواب قسم محذوف، دلت عليه اللام الموطئة)[64]

قوله ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ ﴾ أي: من اليهود والنصارى، ومن المشركين والزنادقة المنافقين وسائر الطوائف الكفرية من غير أهل الكتاب أذى كثيرا من الطعن في دينكم وأعراضكم[65]، وما الذي سنسمعه ؟ (أذى) نكرة ليفيد العموم بجميع أنواعه وأشكاله، قل ما تشاء مما ذكرنا: إرهابي، داعشي، ومتطرف... إلخ ومما لم نذكره ومما قيل، ومما سيقال، فـــــ (أذى) يستوعب ذلك، ثم أردف النكرة بوصفه (كثيراً) للتأكيد.

تنبيهات:

ذكرنا أنَّ المكر، والخداع، والكيد وما شابه ذلك من صفات النقص، والله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص، وإنما تكون هذه الصفات مدحا إذا كانت على سبيل المقابلة والمشاكلة اللفظية، أي المكر بالماكر صفة مدح، وخداع المخادع صفة مدح، والله سبحانه يمكر بالماكر بما يستحقه والمعنى أنَّ الله يبطل ما صنعوا من مكر وكيد، وهذا ما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى [66].

والمسلمون لا يقدرون على مقابلة الخداع بمثله في الغالب، لعدم جوازه شرعاً، أو لعدم القدرة على تحقيق ما يستحقه المخادعون، وتوضيح هذا بمثالين:

1- قوم لوط جاءوا إلى نبي الله لوط عليه السلام يراودونه عن ضيفه، وحاورهم الحوار المعروف الذي يقطع القلوب، وهم في غيهم يعمهون، ولكن الله سبحانه وتعالى، عاقبهم بما يستحقون، وجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل.
2- المجرمون يقتلون النساء والأطفال، والرهبان وفي كنائسهم، بل ويرتكبون فاحشة اللواط في المردان ممن هم دواعش معهم ويسيرون في فلكهم، بل ويذبحون الأبرياء من الناس، كما تذبح النعاج، ثم يقولون: انظروا ما يفعل المسلمون الدواعش ؟

هل هذا فعل المسلمين أيها الماكرون من اليهود والنصارى والزنادقة، المنافقين ؟

64 – انظر : فتح القدير: للشوكاني : 468/1 .

65 – انظر : المصدر نفسه.

66 – انظر : البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي: 175/3.

فما على المسلمين إلا أن يصبروا ويتقوا وموعد المجرمين – إن شاء الله – قريب.

قوله تعالى ﴿ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَاداۚ ﴾ النِّد: المِثل – جمع أَنْدَاد [67]، والمقصود بالأنداد الذين يعبدونهم من دون الله، ويجعلونهم شركاء لله فيما لا يقر عليه غير الله.

قوله تعالى ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ ﴾ أي:: وأسر الفريقان- المستضعفون والمستكبرون- الندامة على الضلال والإضلال لما فرطوا من طاعة الله في الدنيا، حين عاينوا عذاب الله الذي أعده لهم [68].

المضلون فرطوا في ضلالهم، وإضلالهم، والضالون فرطوا في ضلالهم واتباعهم للمضلين.

ولما كان الأمر كذلك كان الضالون والمضلون في طبقة واحدة من العذاب لذلك قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ ﴾ أي: وجعلنا السلاسل في أيدي الكافرين بالله في جهنم مربوطة إلى أعناقهم [69] المستكبر والمستضعف.

قوله ﴿ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ أي: لا يجزون إلا بأعمالهم التي عملوها، ولا يعاقبون إلا بكفرهم وإجرامهم[70].

وقد ذكرنا سابقاً أنَّ المستكبرين والمستضعفين في العذاب مشتركون [71] وهنا نذكر بعض الأدلة من القرآن للإيضاح أكثر:

1- قال الله تعالى في سورة الأحزاب ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾ طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لمن أضلهم فلم يجبهم إلى شيء مما طلبوا ؛ لأنَّ حجتهم باطلة، اطعتموهم وعصيتم الله على بيّنة وبرهان ثم تريدون مضاعفة العذاب لهم، وانظر إلى الحجة الداحضة (أطعنا) ليس في الأمر اكراه ولا قوة، وإنما هي طاعة لأسباب دنيوية من المناصب والشهوات ونحو ذلك.
2- الدليل الثاني في قوله تعالى ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٖۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [الصافات: 27-35] هذه الآيات سيأتي عنها الحديث مفصلاً – إن شاء الله – في المبحث الرابع، وهنا سنذكر ما نريد باختصار في الآتي:

67 – انظر : ترتيب القاموس المحيط: الطاهر أحمد الزاوي : 347/4 .

68 – انظر : جامع البيان: ابن جرير الطبري: 20/ 409.

69 – انظر : جامع البيان: ابن جرير الطبري: 293/19 ، وانظر : صفوة التفاسير: الدكتور محمد الصابوني : 554/2 .

70 – انظر : انظر : صفوة التفاسير: الدكتور محمد الصابوني : 509/2 .

71 – انظر : صفحة (19) من هذا البحث .

أ- قال المستكبرون للمستضعفين ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ وصدقوا بما قالوا: فأي حجة أو برهان على الشرك بالله ؟ ولا قوة لأحد على الإكراه في الشرك بالله ؛ لأن الإيمان سر بين العبد وربه.

ب- ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ فلا يفهم من هذا إلاَّ أنَّ العذاب منقسم بينهم على السواء، فلا زيادة لأحد على أحد.

ج- سبب الاشتراك ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي: أنَّ الحجة على التوحيد قد جاءتهم، وعلموا أن ما جاءت به الرسل هو الحق، وكفرو بالله عنادا وتكبرا.

3- الدليل الثالث وهو الحديث عن فرعون وقومه وهم يتحاجون في النار قال تعالى ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ والآيتان تفيدان أموراً كثيرة أبرزها:

1) طلب المستضعفون من المستكبرين أن يخففوا عنهم ولو جزءاً يسيراً من العذاب، يحملون ذلك الجزء اليسير إلى عذابهم الذي هم فيه.

يقولون بادلوا الوفاء بالوفاء، ولكن الطلب صعب، فما هو الجزء اليسير في جهنم يا مغفلون ؟ إلا أنَّ جواب المستكبرين لم يكن فيه غلظه ولا استهزاء ولا سخرية، فهذا هو الجواب المناسب للنصيب من النار.

2) فرعون وقومه كان قد تبين لهم الحق واليقين بما جاء به موسى ولم يبق عندهم أدنى شك في صدق موسى عليه السلام، يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ **[النمل: 14]**.

3) الله رحيم بعباده، ورحمته واسعة، فالضعيف الذي يخاف القتل من الظالمين إن هو آمن – كما كان يفعل فرعون – قال له: أنت مكره أكفر بالله بلسانك وقلبك مطمئن بالإيمان، وأنا أعلم ذلك وهم لا يعلمون، بل حتى في حال التعذيب له أن يفعل ذلك، وبعد هذا فما عذر المستضعفين ؟

المبحث الرابع: وقوف الكفار يوم القيامة وما يجرى بينهم من حوار من خلال سورة الصافات.

وهذا المبحث تحدثت عنه الآيات من (20-39) قال تعالى ﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات: 20 - 39] هذه الآيات لها ارتباط بما سبقها، وسنأشير إلى ذلك، وسنقتصر على تفسير الآيات التي أوردنها حتى لا يطول الموضوع.

التفسير

قوله ﴿ وَقَالُواْ ﴾ الواو عاطفة على قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ [الصافات: 19] وعطف الماضي ﴿ وَقَالُواْ ﴾ على الفعل المضارع ﴿ يَنظُرُونَ ﴾ الذي معناه الاستقبال: إعلام بتحقق الأمر تحقق ما مضى وكان [72] أي: هو واقع لا محالة.

قوله ﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا ﴾ ﴿ وَقَالُواْ ﴾ أي: المبعوثون وصيغة الماضي للدِّلالة على التحقق والتقرر، الويل هنا: الهلاك، أي: يا هلاكنا احضر فهذا أوان حضورك.

وقوله ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾ تعليل لدعائهم الويل، أي هذا اليوم الذين نجازى فيه بأعمالنا، وإنما علموا ذلك لأنهم كانوا يسمعون في الدنيا أنهم يبعثون، ويحاسبون، ويجزون بأعمالهم، فلما شاهدوا البعث، أيقنوا بما بعده أيضاً ؟

قوله ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ فيه قولان:

1- هو كلام الملائكة جواباً لهم بطريق التوبيخ والتقريع.

2- وقيل: هو من كلام بعضهم لبعض [73].

والفصل: القضاء الذي يقضى به الله بين أهل الجنة وأهل النار [74].

قوله تعالى ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ ذكر ابن جرير عدداً من الأقوال في معناها:

72 – انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم البقاعي: 298/6 .

73 – انظر : إرشاد العقل السليم: أبوالسعود : 187/7 .

74 – رواه ابن جرير عن السدى في كتابه جامع البيان: 21/ 26.

1- ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ ضرباءهم يعني عُبَّاد الأصنام مع عُبَّاد الأصنام، وعُبَّاد الكواكب مع عُبَّاد الكواكب، وهكذا، وهو مروي عن عمر بن الخطاب، وابن عباس وغيرهما.
2- وروى ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ يعنى: أتباعهم ومن أشبههم من الظلمة.

وقول ابن عباس رضي الله عنهما يدل على أن الأتباع هم من يتبعونهم حذو القذة بالقذة، ومن أشبههم من الظلمة، فالشبيه هنا هو الذي يكون مقاربا للمشبه به في أعماله.

وهذا ينطبق تمام الانطباق على الذين يتبعون ما تقوله أمريكا اليوم ولو كانوا لا يحبون ذلك، وهم بما يفعلون يضرون أنفسهم، وإخوانهم من المسلمين، والعاقل لا يسعى للإضرار بنفسه وإخوانه.

3- وعن قتادة، وأبي العالية ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ قالا: أشياعهم، وفسرها قتادة: الكفار مع الكفار.
4- وروى عن السدى ﴿ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ أشباههم.
5- وروى عن مجاهد ﴿ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ أمثالهم [75].
6- وقيل: ﴿ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ قرناؤهم من الشياطين.
7- وقيل: ﴿ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ نساءهم اللاتي على دينهم [76].

والأقوال لا تعارض بينها، وأشملها وأجمعها ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما في رقم (2) وبقية الأقوال كل منها عَبَّر عن جانب من جوانب المراد من الآية.

فهل يعي حكام المسلمين والتابعين لأعداء الدين ما قاله حبر التفسير عبد الله بن عباس قبل أن يقول الله تعالى ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الأصنام وغيرها زيادة في تخيلهم وتخجيلهم، وهو عام مخصوص بقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: 101] وفيه دليل على أن الذين ظلموا هم المشركون [77].

قوله ﴿ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ أي: فعرفوهم طريق الجحيم ووجهوهم إليها وفي لفظ (فاهدوهم) تهكم وسخرية، فإذا لم يهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم، فليهتدوا اليوم إلى صراط الجحيم [78].

قوله تعالى ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾ احبسوهم في الموقف إنهم مسؤلون عن عقائدهم وأعمالهم، والواو لا توجب الترتيب مع جواز أن يكون موقفهم متعدداً [79].

75 – الأقوال الخمسة رواها الطبري بأسانيدها إلى أصحابها في كتابه جامع البيان : 21/ 27، 28.
76 – القول السادس والسابع ذكرهما ابو السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم ولم ينسبهما لأحد : 188/7 .
77 – انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي : 8/5.
78 – انظر : صفوة التفاسير : الدكتور محمد على الصابوني : 31/3 .
79 – أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي : 8/5. وانظر : المصدر السابق .

قوله ﴿ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ أي: لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص مما أنتم فيه، وأنتم أشد ما تحتاجون إلى التناصر، وهو سؤال توبيخ وتقريع، (80) لأنهم عاجزون عن الانتصار.

قوله ﴿ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴾ أي: أذلاء، منقادون، خاضعون، قال البيضاوي ((وأصل الاستسلام: طلب السلامة، أو متسالمون، كأنه يسلم بعضهم بعضاً وخذله)) (81).

قوله ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ فيه قولان:

1- يعني الرؤساء والأتباع.
2- أو الكفرة والقرناء (82).

والمراد بالأتباع: الكفار فهم مع من اتَّبوعهم من الكفرة.

والمراد بالقرناء: الجلساء والجليس له تأثير على جليسه، إما إلى الخير وإما إلى الشر كما قال صلى الله عليه وسلم: ((مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة)) (83).

قال تعالى ﴿ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ **[الصافات: 50-55]** فهذا الجليس جليس سوء، يدعو صاحبه إلى إنكار الحياة البرزخية، وما بعد البعث، لكنه لم يفلح في دعوته، ولم يستجب له جليسه إلى ما يدعو إليه وهنا ننبه على بعض الأمور:

1- الجليس الضال المضل له تأثير على جليسه في الغالب، وخاصة عند الذين هم في مستقبل شبابهم، لا يدركون مكر الماكرين وخداع المخادعين.
2- ما يحدث اليوم لبعض الشباب الذين يحبون الخير ويجهلون الطريق من قبل بعض قيادة تزعم إنها إسلامية مثل: قيادة داعش تدعوا شباب المسلمين إلى الجهاد، فإذا وصلوا إليها – وهم يجهلون الدين – أباحت لهم ما حرم الله، فيقتلون النساء، والأطفال، والشيوخ والرهبان، ويستحلون نكاح الحرائر وبيعهن على اعتبار أنهن إماء، ويذبحون الأسرى كذبح النعاج، ثم يفترون على الله الكذب، ويزعمون أن ذلك هو الإسلام.
3- وآخر هذه الأمور نقول لحكام المسلمين – والذين يقولون إنهم من أهل السنة – انتبهوا من قرناء السوء من حكام أمريكا وغيرهم من الكفرة أعداء الدين أن يجروكم من القرناء إلى الأتباع، بل المطلوب منكم أن تأثروا عليهم بهدى الإسلام، أسأل الله أن يوفقكم لذلك.

---

80 – انظر : المصدر نفسه .

81 – انظر : المصدر نفسه .

82 – انظر : المصدر نفسه .

83 – الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت(256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر96/7، رقم الحديث: 5534، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، دار طوق النجاة، ط1، (1422هـ)، والمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت(261هـ): تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: 4/ 2026 ، رقم الحديث: 2628 ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء ، دار إحياء التراث العربي.

قوله تعالى ﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ يسأل بعضهم بعضا، ويخاصم بعضهم بعضاً.

وسؤالهم كما قال أبو السعود: ((يسأل بعضهم بعضاً سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال)) (84).

قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ [الصافات:28] أي: قال الأتباع للمتبوعين: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، وفي معنى (اليمين) أقوال:

1- أي عن أقوى الوجوه وأيمنه، أي من اليُمن ضد الشؤم.
2- وقيل: عن الْحَلِفِ والقَسَمِ، فإنهم كانوا يحلفون لهم أنهم على الحق.
3- وقيل: عن طريق القوة والقهر، أي يجبرونهم على الكفر إجباراً.
4- وقيل عن طريق الدين، أي ما نحن عليه من دين الأباء هو خير مما جاء به محمد (85).

والقول الثالث الذي يقول: عن طريق القوة والقهر لا دليل عليه من كتاب الله ولا سنته، بل الأدلة على خلافه.

ويتضح مما سبق أن الحوار كان بين رؤساء القوم من الكفار وبين من تبعهم من الكفار أيضاً.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [الصافات: 29] إضراب وإنكار من الرؤساء عما قاله الأتباع، وقد أجابوا على الأتباع بثلاثة أجوبة:

1- ﴿ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [الصافات: 29] الرسول جاءكم بالدليل القاطع، والبرهان الواضح على صدق رسالته، ولم تؤمنوا به كفراً وعناداً ، ونحن لم نأتكم على ما دعوناكم إليه بحجة ولا برهان.

2- ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍۚ ﴾[الصافات: 30] أي: لم نأتكم ببرهان على ما دعوناكم إليه ولم نجبركم على الكفر، ولم يكن لنا عليكم تسلط بحيث نجبركم عليه، وإنما دعوناكم إلى الكفر فأجبتم، لأنه يوافق أهواءكم وشهواتكم، ومن يستطيع أن يجبر شخصاً على الكفر بالله، والإيمان محله القلب , لا يعلم ما في القلب إلا الله سبحانه وتعالى.

وقول الرؤساء هذا يقطع ما يدعيه الأتباع – زوراً وبهتاناً – من أصله، بل ينزعه مع جذوره، فلم يكتفوا بكذبهم في الدنيا، بل يفترون على الله الكذب يوم القيامة أيضاً، كما قال تعالى عنهم ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ [الأنعام: 22-24] فهم كذبوا على أنفسهم، ولم يكتفوا بكذبهم المفضوح حتى أكدوه بأعظم أسماء الله تعالى (والله)، وأكدوا ذلك القسم بالاسم الدال على التربية والإحسان (ربنا) (ما كنا مشركين) أي ما عبدنا غيرك، ولا كذبنا رسولك، واتبعنا أمرك، واجتنبنا نهيك، نحن مؤمنون، ونريد من الغفران ما ناله المؤمنون.

إن الهول الذي رأوه: أزاغ قلوبهم وتقطعت بهم الأسباب.

84 – انظر : إرشاد العقل السليم : 188/7 .

85 – ذكر هذه الأقوال البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 8/5 .

3- ﴿ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴾ [الصـــافات: 30] الطغيان هنا: مجاوزة الحد في العصـــيان [86]، وأي عصيان أعظم من الكفر بالله جحوداً؟! فأنتم مختارون للطغيان مصرون عليه.

قوله تعالى ﴿ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴾ [الصافات: 31] أي: لزمنا وثبت علينا أننا في العذاب مشتركين، لا محيص عنه ولا مفر منه[87].

قوله تعالى ﴿ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴾ [الصافات: 32] فيه دليل على أن الرؤساء لم يجبروا الأتباع من وجهين:

أحدهما: ﴿ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ ﴾ فغاية ما فعلنا بكم أنا دعونكم إلى الغي الذي كنا عليه، فأحببنا أن تكونوا مثلنا.

والآخر: ﴿ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴾ لم يقولوا لهم: إنا كنا مغويين بصيغة المفعول لما فيه من الإشارة إلى أن غواية الأتباع ليست من الرؤساء، [88] فكأنَّ الرؤساء يقولون للأتباع أنتم طالبون للغواية مثلنا.

ويؤكد هذا قوله تعالى ﴿ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴾[الصافات: 33] أي: كما كان الأتباع والمتبوعون مشتركين في الغواية، فهم كذلك مشتركون في العذاب في نار جهنم سواء بسواء[89].

قوله تعالى ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[الصافات: 34] أي: مثل ذلك الفعل المهين والعذاب الشديد نفعل بالمشركين، والعلة في ذلك ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾[الصافات: 35] أي: يستكبرون عن كلمة التوحيد، أوعلى من يدعوهم إليه[90].

قوله ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾[الصـــافات: 36] قوله ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ جاء بالفعل المضارع ليشمل الجاحدين للتوحيد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده إلى قيام الساعة.

﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾ الاستفهام إنكار، وأكدوه بقولهم ﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ﴾ وإنما اكدوا كلامهم لعلمهم أنهم كاذبون وجاحدون للحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله ﴿ لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾ وهنا استدلوا على كلامهم بما يبطل ما هم عليه من الشرك في غاية الوضوح، وما يعلمه كل إنسان بالبديهة من غير تأمل ولا تفكير، ﴿ لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾ الشعر يحتاج إلى عقل رصين، وقصد قويم، وطبع في الوزن سليم، والجنون لا نظام معه ولا عقل [91].

---

86 – انظر : معجم مقاييس اللغة: ابن فارس : 412/3 .

87 – انظر : إرشاد العقل السليم: أبو السعود: 189/7، وانظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: 9/5 .

88 – انظر : حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وَكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي ت(1069هـ): 267/7، (دار صادر – بيروت).

89 – انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ت(538هـ): 41/4، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط3، (1407 هـ).

90 – انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: 9/5.

91 – انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم البقاعي : 308/6 .

ولذلك رد الله عليهم بالإنكار الإبطالي، أي: كذبهم بما قالوا ببيان أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد هو الحق الذي قام به البرهان، وأجمع عليه كافة الرسل عليه الصلاة والسلام، فأين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [92].

قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

ما قالوه في الآيات السابقة يدل على شدة طغيانهم، وزورهم وبهتانهم ولا يخفى على أحد ممن يسمع ذلك، بين سبحانهم ما هو معد لهم، ووعظاً وزجراً وتذكيراً لمن سيأتي بعدهم فقال ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴾ [93] أي: الشديد الموجع في الآخرة.

قوله ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الصافات: 39] أي: وما تجزون في الآخرة من العذاب الأليم إلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك بالله والجحود لرسل الله عليهم الصلاة والسلام [94].

وهذا نهاية البحث، فما أحسنت فيه فمن الله وحده، وما أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله حسن الختام، وصلى الله وسلم على محمد واله، ورضى الله عن الصحابة أجمعين، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

92 – انظر : إرشاد العقل السليم: أبو السعود : 189/7.

93 – انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم البقاعي : 309/6 .

94 – انظر : جامع البيان: ابن جرير الطبري :35/21 .

الخاتمة

وفيها أهم الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

أولاً: الاستنتاجات:

نستنتج أن وقوف الكفار يوم القيامة وما يجري بينهم من حوار كما ورد في القرآن الكريم يرجع إلى الأسباب الآتية:

1- إبراز تكذيب الكفار بوحدانية الله على الرغم من الدلائل والبراهيم على وحدانيته، مما يجعلهم يستحقون العذاب الأليم.
2- تقريع المكذبين وتوبيخهم على تكذيبهم وإنكارهم ليوم البعث والنشور.
3- بيان تكذيبهم بالقرآن وبالكتب السماوية التي أُنزلت على الأنبياء السابقين بعد ظهور الحق وبيان الحجة عليهم أنها جاءت من عند الله مما يجعلهم يستحقون العقاب الأخروي.
4- إبراز خسارة المكذبين وحسرتهم الدائمة في الآخرة وما يلاقونه من الذل والهوان بسبب تقصيرهم في طاعة الله.
5- إبراز اللوم والتأنيب للكفار بعضهم لبعض وما يدور بينهم من تلاؤم وعتاب يعكس الحسرة والندامة على ما فرطوا في جنب الله.
6- حبس المكذبين عند الصراط لتوجيه الأسئلة إليهم عن عقائدهم الباطلة التي كانوا يدينون بها وأعمالهم المخالفة لشرع الله وهي أسئلة توبيخ وتقريع لعجزهم عن الإجابة عنها.
7- آيات الوقوف كان الخطاب فيها للنبي صلى الله عليه وسلم ((ولو ترى...)) ولكن المراد به أمته تحذيراً لهم لا سيما المكذبين منهم الذين آذوه وجحدوا برسالته، وذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وجبراً لخاطره لصبره على أذاهم.
8- معظم آيات الوقوف كان المخاطب فيها كفار قريش وبعض الآيات نزلت في بعضهم والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؛ لأن القرآن يخاطب المكلفين في كل زمان ومكان.

ثانياً: التوصيات:

1- الإكثار من الطاعات والأعمال الصالحة حتى لا نتحسر يوم القيامة على التفريط فيها.
2- المبادرة بفعل الأعمال الصالحة وعدم التسويف قبل أن يدركنا الموت فنندم على التفريط ساعة لا ينفع الندم.
3- عدم الاغترار بالحياة الدنيا وإهمال شأن الآخرة.
4- التخلص من الذنوب بالتوبة والاستغفار لأنها أسوأ حمل يحملها الإنسان على ظهره يوم القيامة.
5- التخلص من رفقاء السوء واختيار الجليس الصالح الذي إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكرك.

ثالثاً: المقترحات:

في ضوء نتائج البحث تقترح الدراسة أبحاثاً مستقبلية تدور حول الآتي:

1- تتبع الحوار الذي يجري بين الكفار، والحوار الذي يجري بينهم وبين أصحاب الجنة حينما يقعون في جهنم ويلوم بعضهم بعضاً، ويسألون أهل الجنة أن يفيضوا عليهم من نعيم الجنة.

2- تتبع الحوار الذي يجري بين الكفار والملائكة حين يقفون في جهنم ويتمنون الخروج من النار والعودة إلى الدنيا.
3- تتبع الحوار الذي يجري بين الكفار وأصحاب الأعراف في يوم القيامة.
4- وقوف المؤمنين بين يدي الله يوم القيامة، وتتبع الأسئلة التي توجه إليهم حول أعمالهم في الدنيا على مستوى ثلاث فئات:
   - الظالم لنفسة.
   - المقتصد.
   - السابق بالخيرات.

المصادر والمراجع:

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المشهور بـــ (تفسير ابي السعود): لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، تـ (951هـ)، دار احياء التراث العربي (بيروت – لبنان)، (د.ت).
2- أساس البلاغة: لجار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تـــ (538هـــــ)، دار المعرفة للطباعة والنشر(بيروت – لبنان)، (د. ت).
3- أسوة للعالمين صلى الله عليه وسلم: الاستاذ الدكتور / راغب السرجساني،، أقلام للنشر والتوزيع والترجمة (القاهرة)، طـ3 (1432هـ - 2011م).
4- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تـ (685هـ): تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، 248/4، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط1، (1418 هـ).
5- بذل المجهود في حل أبي داوود: الشيخ خليل أحمد السهار نفوري، تـــ (1346هـــ)، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان)، (د. ت).
6- البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تـ (794هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت – لبنان)، طـ2.
7- البعث والنشور: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تـــ (458هـ) ، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتاب الثقافية (لبنان)، طـــ1 (1406هـ - 1986م).
8- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، تـــــ (1205هـ)، مطبعة الحكومة (الكويت)، (1385هـ).
9- التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسي للنشر والتوزيع (تونس)، (1984م).
10- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة: الطاهر أحمد الزاوي، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان)، (1979م).
11- تفسير القرآن الحكيم المشهور بـــــ (تفسير المنار): محمد رشيد رضا، (1865م – 1935م)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان)، طـــ1 (1420هـ - 1999م).
12- تفسير القرآن العظيم المعروف بـ (تفسير ابن كثير): لأبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير، تـــ (774هـ)، مطبعة الشعب، (د.ت).

13- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، تـ (371هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، طـ1 (1946م).
14- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1، (1998م).
15- الثقافة الإسلامية: جامعة العلوم والتكنولوجيا، طـ4 (2016م).
16- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تـــ (310هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحســن التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشــر والتوزيع (الرياض)، طـــ1.
17- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تـ(256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، (1422هـ).
18- الجامع لأحكام القرآن: ابو عبدالله محمد أحمد الأنصاري القرطبي، تـــ (671هـــ)، دار الكتاب العربي (القاهرة)، (1387هـ - 1967م).
19- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي تـ (875هـ): تحقيق: الشــيخ محمد علي معوض والشــيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، (1418 هـ).
20- حَاشِـيةُ الشِّـهَابِ عَلَى تفْسـيرِ البَيضَـاوي، الْمُسَـمَّاة: عِنَايةُ القَاضِـى وكِفَايةُ الرَّاضِـى عَلَى تفْسـيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي تـــ(1069هـــ)، (دار صادر - بيروت).
21- خطب الشيخ محمد الغزالي في شئون الدين والحياة، دار الاعتصام (القاهرة)، (د.ت).
22- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تـ (756هـ)، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم (دمشق)، (د. ت).
23- الدر المنثور في التفسير المأثور: عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد السيوطي، تـــ (911هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت – لبنان)، طـ1 (1403هـ).
24- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود البغدادي، تـــــــــ (1270هـ)، دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان)، طـ4 (1405هـ - 1985م).
25- زاد المسير في علم التفسير: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تـ (597هـ)، دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان)، طـ1 (1423هـ- 2002م).
26- سنن الترمذي: ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تـــ (297هـــ)، حققه عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت – لبنان)، (1400هـ - 2980م).
27- ســنن الترمذي: محمد بن عيســى بن سَـوْرة بن موســى بن الضــحاك، الترمذي، أبو عيســى (ت: 279هـــــ): تحقيق وتعليق: أحمد محمد شــاكر وآخرون، شــركة مكتبة ومطبعة مصــطفى البابي الحلبي،(مصر)، ط2، (1395 هـ- 1975م).
28- السيرة النبوية لابن كثير: إسماعيل بن عمرو بن كثير، تـــ (774هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبع عيسى الباب الحلبي وشركاه، (د.ت).
29- صفوة التفاسير: الأستاذ محمد على الصابوني، دار القرآن الكريم (بيروت – لبنان)، (1402هـ - 1981م).

30-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن على بن محمد الشوكاني، (1250هـ - 1173م)، دار بن كثير للطباعة والنشر (دمشق)، ط1 (1414هـ - 1994م).
31- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي تـ(1385هـ)، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط10، (1412 هـ).
32-القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى تـ(817هـ): تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط 8،(1426 هـ - 2005).
33-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله تـ(538هـ): 4 دار الكتاب العربي (بيروت)، ط3، (1407 هـ).
34-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: لأبي محمد مكي بن ابي طالب القيسي، تـــ (437هـــ)، تحقيق الدكتور محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة (بيروت – لبنان)، طـــ3 (1984م).
35-اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني تـ (775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط1، 1419(هـ -1998م).
36-لسان العرب:لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، تـــ(711هـــ)،دار صادر(بيروت– لبنان)، (د.ت).
37-المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم النيسابوري المعروف بابن البيع تـــ(405هـــ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1،(1411 – 1990).
38- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي تـ(255هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، (1412 هـ - 2000 م).
39- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري تـ(261هـ): تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
40-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية (اسطنبول – تركيا)، (د.ت).
41- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسن الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تـــ (395هـــ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية (إيران)، (د.ت).
42-مفاتيح الغيب: لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي القرشي من ذرية ابي بكر الصديق، تـــ (606هـ)، دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان)، طـ3.
43-المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تـــ (502هـ)، دار المعارف (بيروت – لبنان)، (د.ت).
44-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ابو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تـــ (885هـ)، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان)، ط1 (1415هـ - 1995م).